

أغنيّة الجليد والنّار
لُعبة العُروش

مارتن، جورج

لعبة العروش «أغنية الجليد والنار»: رواية / جورج ر. ر. مارتن. «International Edition»

ترجمة: هشام فهمي.

القاهرة: كيان للنشر والتوزيع، 2024.

604 صفحة، 20 سم.

ردمك: 7-255-820-977-978

أ- القصة الأمريكية.

أ- فهمي، هشام (مترجم)

ب- العنوان: 823

رقم الإيداع: 2024 / 25533

الطبعة الأولى: ديسمبر 2024.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©



كيان للنشر والتوزيع

إشراف عام:

محمد جميل صبري

نيغين التهامي

Copyright© 1996 by George R. R. Martin Excerpt from A Clash of Kings copyright 1999.

by George R. R. Martin

Maps copyright © 2011 by Jeffrey L. Ward Heraldic crests by Virginia Norey

All rights reserved.

ع ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم- محافظة الجيزة.

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 0100405450 – 01001872290

بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

• إن الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشرين.

© جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية

أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

ڇورچ ر. ر. مارتن

أغنيّة الجليد والنّار

لعبة العُروش

ترجمة

هشام فهمي

هذا الكتاب مُهدى إلى مليندا

خريطة الشّمال

- ◆ قلعة -
- مدينة -
- ◊ أطلال -
- بلدة -



Map by
James Sinclair



تمهيد

- «حريُّ بنا أن نبدأ رحلة العودة». قالها جارد مستحثاً فيما بدأت الغابة تكتسي بالظلام من حولهم. «الهمج موتى». سأله السير وإيمار رؤيس بأخفِّ تلميحٍ إلى ابتسامه على شفثيته: «وهل يُخيفك الموتى؟». لم يتتلع جارد الطعام. إنه رجلٌ عجوز، تجاوزَ الخمسين من العمر، وكثيراً ما رأى صغار اللوردات هؤلاء يأتون ويذهبون. هكذا قال: «من مات مات. لا شأن لنا بالموتى». سأل رؤيس بهدوء: «أهم موتى حقاً؟ ما دليلنا؟». أجاب جارد: «ويل رأهم. ما دام قال إنهم موتى فهذا دليلٌ يكفيني».

كان ويل يعلم أنهما سيجرّانه إلى نِقارهما إن عاجلاً أو آجلاً، وتمتّى لو حدثَ هذا آجلاً لا عاجلاً. تدخّل يقول: «أمّي أخبرتني أنّ الموتى لا يُغنّون أيّ أغنيات».

ردّ رؤيس: «مُرصعتي قالت الكلام نفسه يا ويل. إيّاك أن تُصدّق شيئاً تسمعه ورأسك على بَرِّ امرأة. حتى الموتى يُمكن أن نتعلّم منهم أشياء». تردّد صدى صوته بصخبٍ أشدّ من اللازم في شفق الغابة.

قال جارد: «إنَّ أماننا رحلةً طويلةً. ثمانية أيَّام، وربَّما تسعة. واللَّيل يهبط.»

رمقَ السيَّر وإيمار رؤيس السَّماء بنظرة لا مبالاةٍ عابرة، وقال: «وهو ما يحدثُ يوميًّا في هذا الموعد تقريبًا. هل يُجَرِّدك الظَّلام من رجولتك يا جارد؟»

رأى ويل الانقباض المحيط بقم جارد، والغضب المكبوت بالكاد في عينيه تحت قننسة معطفه السَّوداء السَّميكة. لقد قضى جارد أربعين عامًا في حرس اللَّيل، عاشَ معهم رجولته وصباه، ولم يتعوَّد أن يستخفَّ به أحد. على أنَّ الأمر لا يقتصر على هذا، فتحت الكبرياء الجريحة استشعرَ ويل في الرَّجل الأكبر سنًّا شيئًا آخر، شيئًا يُمكنك أن تذوقه، توترًا عصبياً يدنو بخطورةٍ من الخوف.

وويل يُشاركه اضطرابه. إنه على (الجدار) منذ أربع سنوات، ويوم أرسلوه وراءه أوَّل مرَّةٍ عادت القصص القديمة كلُّها تندفق من ذاكرته واستطلق بطنه. بعدها ضحك ساخرًا من خوفه، والآن ها هو ذا جوالٌ محنَّك خرج في مئة جولة تقصِّص، ولم تُعد البراري المظلمة اللاهائية التي يُسمِّيها الجنوبيُّون (الغابة المسكونة) تكنُّ له أيَّ أهوال. حتى اللَّيلة. شيء ما مختلف اللَّيلة. لهذا الظَّلام سمةٌ موجسة تنتصب لها الشُّعيرات على مؤخِّرة عُنقه. أيَّامٌ تسعة مرَّت وهم راكبون إلى الشَّمال والشَّمال الغربي ثم شمالًا مرَّةً أخرى، أبعد فأبعد عن (الجدار)، يقننون بهمَّةٍ آثار جماعةٍ من المغيرين الهمج. مرَّ كلُّ يومٍ أسوأ من سابقه، واليوم الأسوأ على الإطلاق، فمن الشَّمال تمهَّب ريحٌ باردة جاعلةٌ الأشجار تحفُّ كأنها مخلوقات حيَّة، وطيلة النَّهار شعرَ ويل أنَّ شيئًا ما يُراقبه، شيئًا باردًا لدودًا لا يحمل له أيَّ حُبٍّ، وهو ما شعرَ به جارد أيضًا. لا يرغب ويل في شيءٍ أكثر

من الانطلاق عائداً بأقصى سرعته إلى أمان (الجدار)، إلا أن ذلك ليس شعوراً تُفصح عنه لقائده.
بخاصة قائد كهذا.

السير وإيمار رويس أصغر أبناء عائلة عريقة أنجبت عدداً يربو على اللازم من الورثة، شابٌ وسيم في الثامنة عشرة، رمادي العينين ورشيق ونحيف كسكّين. على صهوة برذونه⁽¹⁾ الأسود الضخم يشهق الفارس فوق ويل وجارد اللذين يمتطيان غرؤنيهما⁽²⁾ الأصغر حجماً، وقد لبسَ حذاءً جلدياً أسود، وبنطالاً صوفياً أسود، وقمّازين من فرو الخلد الأسود، وقميصاً أنيقاً مرناً من الحلقات المعدنية السوداء اللامعة فوق طبقاتٍ من الصُوف الأسود والجلد المغلي. السير وإيمار أخٌ محلّف في حرس الليل منذ ما يقلُّ عن نصف عام، لكن أحداً لا يُمكن أن يزرعُم أنه لم يُهيئ نفسه للوظيفة... من ناحية ملبسه على الأقل.

معطفه مفخرته الأعظم؛ مفصلٌ من فرو السمور وأسود وسيميك وبالغ النعومة. ذات مرّة قال جارد لرفاقه في الثكنة وهم يشربون النبيذ: «أراهنُّ أنه قتل تلك السمامير جميعاً بنفسه، أجل، كسر أعناقها الصغيرة مُحاربنا العظيم هذا»، فاستغرَقوا جميعاً في الضحك. فكّر ويل وهو جالسٌ يرتحف فوق غرؤنه أنه من الصعب أن تتلقَى الأوامر من رجلٍ سخرت منه وأنت سكران. ولا بُدَّ أن الخاطر ذاته راودَ جارد، الذي قال: «مورمنت قال أن نتعقبهم،

(1) البرذون Destrier: جوادٌ حربي عظيم الخلق، غليظ الأعضاء، قويُّ الأرجل، عظيم الخوافر. (المترجم).

(2) الغرؤن Garron: نوعٌ متين صغير الحجم من الخيول. (المترجم).

ولقد فعلنا. إنهم موتى، لن يُرَعَجونا ثانيةً. إنَّ أماننا ركوبًا شاقًّا، وهذا الطَّقس لا يروقني. إذا سقطَ الثلج فقد نقضي أسبوعين في رحلة العودة، والثلج أفضل ما يُمكننا أن نأمله. هل سبق أن رأيت عاصفةً جليديَّةً يا سيِّدي؟».

لم يبدُ على اللورد الصَّغير أنه سمعه، بل تفحَّص الشَّفق الموجل بطريقته نصف الملول نصف السَّارحة المعتادة، وقد ركب ويل مع الفارس وقتًا يكفي أن يعرف أنه من الأفضل ألا يُقاطعه وعلى وجهه هذا التَّعبير. «أخبرني مرَّةً أخرى ماذا رأيت يا ويل. جميع التَّفاصيل. لا تُغفل شيئًا».

كان ويل صبيًّا قبل التحاقه بحرس الليل، أو سارق صيِّدٍ في الحقيقة، ثم ضبطه خيالة آل مالستر غير النِّظاميين متلبِّسًا في غابة آل مالستر وهو يسُلخ أحد ظباء آل مالستر، وعليه حُيَّر بين ارتداء الأسود وفقدانه يَدًا. لا أحد يستطيع الحركة في الغابات بهدوء ويل، ولم يمض وقتٌ طويل حتى اكتشفَ الإخوة السُّود موهبته هذه. قال ويل: «المخيم يبعُد ميلين، بعد ذلك الحيد، قريبًا جدًّا من جدول. اقتربتُ بقدر ما جرؤت. إنهم ثمانية، رجال ونساء. لم أرَ أيَّ أطفال. لقد نصبوا ساترًا فُبالة الصَّخر. الثلج غطَّاه إلى حدِّ كبير، ولكن لم يزل بإمكانني تمييزه. لا نار مشتعلة، لكن البؤرة كانت واضحةً وضوح النَّهار. لا أحد تحرك. راقبتُ المكان فترةً طويلةً. لا يُمكن أن يرفُد إنسانٌ حيًّا بذلك الثَّبات أبدًا».

- «هل رأيت أيَّ دماء؟».

أقرَّ ويل: «لا».

- «هل رأيت أيَّ أسلحة؟».

- «بضعة سيوف، قلّة من الأقواس. أحد الرّجال معه فأس. بدت ثقيلَةً، مزدوجة النّصل، قطعة قاسية من الحديد. كانت على الأرض بجواره، عند يده مباشرةً».

- «هل لاحظت أوضاع الجثث؟».

هزّ ويل كتفيه مجيباً: «اثنان جالسان مرتكنين إلى الصّخر. معظمهم على الأرض. صرعى غالباً».

اقترح رويس: «أو نيام».

- «بل صرعى».

قالها ويل بإصرار. «فوق إحدى أشجار الصُّلب امرأةٌ شبه متوارية بين الفروع، خفية». وتابع بابتسامةٍ رفيعة: «حرصتُ ألاّ تراني إطلاقاً. عندما اقتربتُ رأيتُ أنها هي أيضاً لا تتحرّك». ورغماً عنه ارتحفّ.

سأله رويس: «أأنت بردان؟».

غمغم ويل: «بعض الشّيء. إنها الرّيح يا سيدي».

عادّ الفارس الشابّ يلتفت إلى عسكريّه الأثيب، وقد أخذ ورق الشّجر الذي أسقطه الصّقيع يهمس ماراً بهم، وتحرك بردون رويس باضطراب. سأل السير وإيمار بلا اكتراث: «ما الذي تحسبه قتل أولئك النّاس يا جارد؟»، ثم عدّل سدلة معطفه السّموري الطويل.

أجاب جارد بثقةٍ من حديد: «إنه البرد. لقد رأيتُ رجالاً يتجمّدون حتى الموت الشتاء الماضي، والشتاء الذي قبله وأنا بعدُ نصف غلام. الجميع يتكلّمون عن ثلوج عمّقتها أربعون قدماً، وكيف تهبّ الرّياح الجليديّة عاويةً من الشّمال، لكن العدوّ الحقيقي هو البرد. إنه يتسلّل إليك بحدوٍ يتفوّق فيه على ويل نفسه، وفي البداية ترتحف وتصلطك أسنانك وتدقّ الأرض بقدميك وتلّم بالنبيد المتبلّ

ودفع النار. إنه يحرق، يحرق. لا شيء يحرق كالبرد. ولكن لقليل من الوقت فقط، ثم ينفذ إلى داخلك ويبدأ يُفعمك، وبعد فترة لا تجد في نفسك القدرة على مقاومته. أسهل عندئذ أن تجلس أو تخذل إلى النوم. يقولون إنك لا تشعر بأي ألم قرب النهاية. أولاً يُصيبك الضعف والوسن ويبدأ كل شيء يخبو، وبعدها تشعر كأنك تغوص في بحر من الحليب الدافئ. شعورٌ شبيه بالسَّلام».

علّق السير وإيمار: «يا للفصاحة يا جارد. لم أحسب قط أنك تتمتع بها».

- «أنا أيضاً نفذت البرد إليّ أيُّها اللورد الصَّغير». قالها جارد وأنزل قلمسوته متيحاً للسير وإيمار أن يلقي نظرةً طويلةً فاحصةً على الجذعتين المتبقيتين من أذنيه. «أذنان وثلاث أصابع قدمٍ وخنصر يدي اليسرى. ما أصابني هيّن. لقد عثرنا على أخي متجمداً في موقع مناوبته وعلى وجهه ابتسامة».

هزَّ السير وإيمار كتفيه قائلاً: «يحدُّرك أن ترتدي ثياباً أثقل يا جارد».

رشق جارد الفارس بنظرةٍ نارئة وقد احتقنت بحُمرةٍ غاضبة الندوب حول ثقبَي أذنيه حيث قطعهما الميستر إيمون، وقال: «سنرى كم يُمكنك إثقال ملابسك عندما يأتي الشِّتاء»، وعادَ يرفع قلمسوته وانحنى فوق غرَّونه بصمتٍ واجم.

بدأ ويل يقول: «إذا قال جارد إنَّ البرد هو...».

- «هل كُلفت بالحراسة خلال الأسبوع الماضي يا ويل؟».

- «نعم يا سيدي». لا يمرُّ أسبوعٌ دون أن تقع عليه قرعة الحراسة دسته مرَّاتٍ لعينة. إلامَ يرمي هذا الرَّجل؟

- «وعلى أيِّ حالٍ وجدت (الجدار)؟». أجاب ويل عاقداً حاجبيه: «يَقْطُر». الآن يرى بوضوح مقصد اللورد الصَّغِير إذ نَوَّه به. «لا يُمكن أنهم تَحَمَّدوا ما دام (الجدار) يَقْطُر. الطَّقْس لم يكن بارداً إلى تلك الدَّرَجة».

أوماً رؤيس برأسه موافقاً، وقال: «فتى ذكي. لقد شهدنا قليلاً من موجات الصَّقيع الخفيفة الأسبوع الماضي، وبين حينٍ وآخر سقطَ الثلج لفتراتٍ وجيزة، ولكن مؤكِّد أنَّ البرودة لم تشتدَّ إلى حدِّ قتل ثمانية أشخاص بالغين، أشخاص -دعني أذكرك- يرتدون الفرو والجلد، على مقربةٍ من ملجأهم ولديهم وسيلة لإشعال نار». تكلم الفارس وعلى شفثته ابتساماً واثقة إلى حدِّ الغرور. «ويل، قُدنا إلى مكانهم. أريدُ أن أرى أولئك الموتى بنفسي».

وعندها لم يُعد للجدل مجال. لقد صدرَ الأمر، وأصول الشَّرَف تُوجِب عليهما الطَّاعة.

تقدَّمهما ويل وغرُّونه الصَّغِير الأشعث يشقُّ طريقه بحذرٍ عبر الحِراج التَّحتيَّة. اللَّيلة السَّابِقة سقطَ ثلجٌ خفيف، وتحت أديمه تتوارى أحجارٌ وجذورٌ وحُفر غاطسة غير مرئيةٍ منتظرةً المتهورين والغافلين. تبعه السير وإمار رؤيس وبرذونه الأسود الضَّخْم يلجِب بتبرُّم. الجواد الحربي ليس المطيَّة الملائمة لجولات التَّقصيِّ، ولكن حاول أن تقول ذلك للورد الصَّغِير. تحرَّك جارد في المؤجِّرة، وقد أخذَ العسكريُّ العجوز يُهمهم لنفسه وهو راكب.

توغَّل الشَّفَق، وتلَوَّنت السَّماء الصَّافية بأرجوانٍ عميق، لون الكدمات القديمة، ثم شاعَ فيها السَّواد. بدأت النُّجوم تتجلَّى وطلعَ القمر هلالاً، وشعرَ ويل بالامتنان للضَّوء.

قال رويس حين علا القمر في السماء: «يُمكننا التَّحرُّكُ بسرعةٍ أكبر بالتَّأكيد».

ردَّ ويل وقد أكسبه الخوف وقاحةً: «ليس بهذا الحصان. هل يرغب سيدي في أخذ زمام القيادة؟».

فلم يتكرَّم السير وإيمار رويس بمجرد ردِّ.

وفي مكانٍ ما من الغابة تعالَى غُواء ذئب.

كبح ويل غرُّونه تحت شجرة صُلب عتيقة كثيرة العُقد، وترجَّل.

سأله السير وإيمار: «لماذا نتوقَّف؟».

- «الأفضل أن نقطع بقية الطريق سيراً على الأقدام يا سيدي. المخيم بعد ذلك الحيد مباشرة».

صمت رويس لحظةً محدِّقاً إلى بعيدٍ وعلى وجهه أمارات التَّفكير.

بين الأشجار همست ريحٌ باردة، فتحرك معطفه السَّموري الفاخر وراه كما لو أنه كائنٌ نصف حي.

تمتم جارد: «شيء ما على غير ما يُرام هنا».

ابتسم له الفارس الشاب بازدراء، وسأله: «حقاً؟».

قال جارد: «ألا تشعُر به؟ أصغ إلى الظلام».

ويل يشعُر به. أربع سنواتٍ في حرس اللَّيل ولم يعتَرِه قطُّ خوفٌ كهذا. ما الخطب؟

- «الريح، وحفيف الأشجار، وذئب. أيُّ هذه الأصوات يُجِدُّك

من رجولتك إلى هذا الحدِّ يا جارد؟». لها لم يُجبه جارد، انزلق رويس

برشاقةٍ من فوق سرجه، ثم ربط البرذون بعنايةٍ إلى فرع واطى بعيداً

عن الحصانين الآخرين، وسحب سيفه الطويل من غمده، لتتألق

الجواهر على مقبضه ويتفرَّق نور القمر على الفولاذ اللامع. سلاحٌ

رائع هذا، مسبوك في قلعة، ويشي شكله بأنه حديث الصُّنع، غير
أنَّ ويل يشكُّ في أنَّ صاحبه لَوْح به في غضبٍ يومًا.

حذَّره ويل: «الأشجار تشابك بشدَّة هنا. ذلك السَّيف سيُعيقك
عن الحركة يا سيدي. أفضل أن تستخدم سكينًا».

قال اللورد الشَّاب: «إذا لزمَني تعليمات فسأطلبها. جارد، ابقَ
هنا، احرس الخيول».

ترجَّل جارد قائلاً: «نحتاج إلى نار. سأتولَّى هذا».

- «كم تَبْلغ حماقتك أيُّها العجوز؟ لو أنَّ في هذه الغابة أعداء
فالنَّار آخر ما نُريده».

ردَّ جارد: «بعض الأعداء تُبعده النَّار. الدَّيِّبة والدِّئاب الرَّهيبة
و... وأشياء أخرى...».

تحوَّل فم السَّير وإيمار إلى خطِّ قاسٍ وهو يقول: «لا نار».
رغم أنَّ قلنسوة جارد تُظِلُّ وجهه، رأى ويل اللَّمعة الصَّارمة في
عينيه وهو يُحمِّق إلى الفارس، وللحظةٍ خشِيَ أن يستلَّ العجوز
سيفه، وهو شيء قصير قبيح لَوْح العرق لون مقبضه وتشوّه حده
من الاستخدام العنيف، إلا أنَّ ويل لم يكن ليُراهن ولو بأحقر عُملةٍ
حديد على فوز اللورد الصغير لو سحب جارد سيفه من عُمدته
فعلًا.

أخيرًا أطرق جارد بصره، وبصوتٍ خافت غمغم: «لا نار».
عدَّ رويس هذا إذعانًا، والتفت عن العجوز قائلاً لويل: «قُد
الطَّريق».

شقَّ ويل طريقيهما بحذرٍ عبر دغلٍ كثيف، ثم بدأ يصعد المنحدر
إلى الحيد المنخفض حيث وجد نُقطة المراقبة المثلى تحت إحدى

أشجار الحارس. تحت قشرة التَّلج الرِّقيقة الأرض رطبةٌ موحلة، يَسْهُل أن تزلَّ عليها، وفيها صخورٌ وجذورٌ متوارية يُمكن أن تتعثرَ فيها. لم يُصدرِ ويل صوتًا وهو يتسلَّق، ومن ورائه سمعَ حفيف الشَّجر والصَّوت المعدني الخافت من زرد اللورد الصَّغير وهممته بالشتائم إذ تُحاول الفروع الممتدَّة القبض على سيفه الطَّويل وتشتبك بمعطفه السَّمُوري الفخم.

وها هي ذي شجرة الحارس العظيمة هناك عند قمَّة الحيد حيث علمَ ويل أنهما سيجداها، تندلَّى فروعها الأدنى على ارتفاع قدمٍ لا أكثر من الأرض. اندسَّ ويل تحت الفروع زاحقًا على بطنه في التَّلج والوحل، ونظرَ إلى الفسحة الخالية أسفله.

وتوقَّف قلبه في صدره، وللحظةٍ لم يجرؤ على التَّنفس. نور القمر ساطعٌ على رُقعة الأرض الفضاء، على رماد بؤرة النَّار، والسَّاتر المغطَّى بالتَّلج، والصَّخرة الصَّخمة، والجدول الصَّغير شبه المتجمِّد. كلُّ شيءٍ كما تركه بالضَّبْط قبل ساعاتٍ قليلة. لكنها اختفت. الجُثث كلُّها اختفت.

سمعَ من ورائه صوتًا يقول: «بحقِّ الآلهة!»، وهوى سيفٌ بضربةٍ على عُصن إذ بلغَ السَّير وإمار رويس قمَّة الحيد. وقفَ الفارس بجوار شجرة الحارس، سيفه الطَّويل في يده ومعطفه يتموِّج وراءه مع اشتداد الرِّيح، تُحدِّده التُّجوم في مشهدٍ نبيل على مرأى من الجميع. همسَ ويل بلهجةٍ ملحة: «انبطح! شيءٌ ما على غير ما يُرام». فلم يتحرَّك رويس، بل نظرَ إلى الفسحة الخالية ضاحكًا، وقال: «يبدو أنَّ موتاك نقلوا محيِّمهم يا ويل».

تخلّى صوت ويل عنه، وكافح للعثور على كلماتٍ لم تأت. ليس هذا ممكناً. مسحت عيناه موقع المخيم المهجور جيئةً وذهاباً، ثم توقفتا عند الفأس، فأس حريئة ضخمة مزدوجة النصل، ما زالت حيث رآها من قبل ولم يمسه أحد. سلاحٌ قيمٌ حقاً...
أمره السير وإيمار: «انهض يا ويل. لا أحد هنا. لن أتركك تختبئ تحت شجيرة».

وعلى مضضٍ أطاعه ويل.
أمعن السير وإيمار في النظر إليه باستنكارٍ قائلاً: «لن أعود إلى القلعة السوداء» فاشلاً في جولتي الأولى. سنعثُر على أولئك الناس لا محالة»، ثم ألقى نظرةً سريعةً حوله، وأضاف: «تسلق الشجرة. هيّا بسرعة. ابحث عن نار».

دار ويل دون أن يُعلق، فلا طائل من الجدل. كانت الريح تمهّب مخترقةً جسده اختراقاً. اتجه إلى الشجرة، شجرة حارسٍ خضراء رمادية مقوَّسة الفروع، وبدأ يتسلق، وسريعاً علقت لزوجة النُسخ بيديه وغاب بين الإبر. ملأ الخوف أحشائه كوجبةٍ لم يستطع هضمها، وهمس بصلاةٍ لآلهة الغابة التي لا تُعرف لها أسماء، وسحب خنجره الطويل من غمده ووضعَه بين صفي أسنانه لتظلّ يده حُرَّتَيْن للتسلق، فبتّ مذاق الحديد البارد في فمه إحساساً بالاطمئنان.

بالأسفل نادى اللورد الصَّغير فجأةً: «مَن هناك؟». سمع ويل نبرة تردّد في الصَّيحة، وتوقّف عن التسلق، وأرهف السَّمع، ودقّق النظر. وردّت الغابة بحفيف الشجر، وتدقّق الجدول الجليدي، ونئيم بومة تلوج بعيدة.

أمّا الآخرون فلم يُصدروا صوتاً.

رأى ويل حركةً بؤكن عينه، أجساماً شاحبةً تنسلُّ عبر الغابة. أدار رأسه فلمخ في الظلام ظلًّا أبيض شرعان ما اختفى. تحركت الفروع بحفّة في الريح خادشةً بعضها بعضًا بأصابع من خشب. فتح ويل فمه ليصيح محذّرًا، فبدأ أنّ الكلمات تجمّدت في حلقه. لعلّه مخطئ، لعلّه مجرد طائر، أو انعكاس على الثلج، أو خدعة ضوئية ما من القمر. ماذا رأى أصلًا؟

نادى السير وإيمار: «ويل، أين أنت؟ هل ترى أيّ شيء؟». كان يدور حول نفسه في دائرة بطيئة بانتباهٍ مفاجئٍ وسيفه في يده. لا بُدّ أنه شعرَ بهم مثلما شعرَ بهم ويل، ولكن ليس في المكان ما يُرى. «أجبنني! لماذا اشتدّ البرد هكذا؟».

البرد قارسٌ حقًّا. مرتعشًا، تشبّث ويل أكثر بمجثمه، والتصق وجهه بقوةٍ بجذع شجرة الحارس، وأحسنّ بالنسغ الخلو اللّزج على وجنته.

ثم انشقّ ظلام الغابة عن ظلٍّ وقفَ أمام رؤيس مباشرةً. طويلٌ هو وهزيل، وقاس كالعظام القديمة، وبشرته شاحبةٌ كالحليب. بدأ أنّ لون درعه يتغيّر مع حركته؛ هنا بيضاء كالثلج الطّازج وهناك سوداء كالظلال، وفي كلّ بقعةٍ مرّقةٍ بخضرة الأشجار الرّماديّة، تسري عليها البرقشة كنور القمر على سطح الماء مع كلّ خُطوةٍ يخطوها. وسمع ويل أنفاس السير وإيمار رؤيس تفرُّ منه في هسيسٍ طويل. قال اللورد الصّغير محذّرًا: «لا تقرب»، فخرج صوته مشروخًا كصوت صبيّ صغير. ألقى المعطف السّموري الطّويل فوق كتفيه ليحرّر ذراعيه للقتال، وأطبق على سيفه بكلتا يديه. كانت الريح قد سكنت، وصارت البرودة قاسيةً بحق.

تقدّم الآخر بخطواتٍ صامتة، في يده سيفٌ طويل لم ير له ويل شبيهاً قط. لا معدن يستخدمه الإنسان دخل في صياغة هذا السيف. إنه نابضٌ بنور القمر، شبه شفاف، كِسرة من البلّور رقيقةٌ إلى درجة أنها تكاد تختفي عن النّظر إذا نظرت إليها رأساً. لهذا الشّيء وميضٌ أزرق باهت، ضوء شبحي يتلاعب على طول حافته، وبشكلٍ ما علم ويل أنه أمضى من أيّ موسى.

لاقاه السير وإمار بشجاعةٍ قائلاً: «راقصني إدا»، ورفع سيفه عاليًا فوق رأسه بتحدٍ. ارتجفت يده من ثقل السيف، أو ربّما من البرد، وإن خطرَ لويل في تلك اللّحظة أنه لم يُعد صبيًا، بل هو رجلٌ من حرس اللّيل.

توقّف الآخر، ورأى ويل عينيّه. عينان زرقاوان، أعمق وأشدُّ زُرقةً من أيّ عينيّن بشريّتين، زُرقتهما حارقةٌ كالجليد، وقد ثبتت نظراتهما على السيف الطويل المرتفع مرتجفًا، وراقبتا نور القمر يجري باردًا على المعدن. لمُدّة نبضة قلبٍ جرؤ ويل على الأمل.

وخرجوا بصمتٍ من الظلال، كلُّهم توائم الأوّل. ثلاثة منهم... أربعة... خمسة... ربّما شعر السير وإمار بالبرد الذي حلّ معهم، إلّا أنه لم يرهم، ولم يسمعهم. يجب أن يُطلق ويل صيحة تحذير. إنه واجبه... وهلاكه إذا فعل. وهكذا ارتعش، واحتضن الشجرة، وظلّ لائنًا بالصمت.

شقّ السيف الشّاحب الهواء مرتجفًا.

وقابله السير وإمار بفولاده، ولما التقى النّصلان لم يرتفع زنين معدنٍ علي معدن، بل صوتٌ عالٍ حاد عند حافة السّمع كصرخة حيوانٍ يتألّم. صدّ رويس ضربةً ثانيةً، وثالثةً، ثم تراجع حُطوةً. فورةٌ أخرى من الضربات، ومجددًا تراجع.

من ورائه، وعن يمينه، وعن يساره، في كلِّ مكانٍ حوله، وقفَ المراقبون بصبر، وجوههم بلا معالم، يكتنفهم الصَّمْت، تبدَّل البرقشة على دروعهم الرِّقِيقَة فتجعلهم شبه خفيِّين في الغابة، ومع ذلك لم يُحاولوا التَّدخُّل.

مرَّةً أخرى وأخرى التقى السَّيفان، إلى أن أحسَّ ويل أنه يُريد تغطية أذنيه ليقيهما وقع الاصطدام القاطع الشَّبيه بالعويل. صارَ السيرُ وإيمار يلهث من جرَّاء الجهد، وتخرُج أنفاسه بُحارًا حارًّا في نور القمر، ويكتسي سيفه بالصَّقيع الأبيض فيما يرفُص ضوء أزرق باهت على سيف الآخر.

ثم تأخَّرت مراوغة رويس لحظةً واحدةً، وشقَّ السَّيف الشَّاحب الرُّرد تحت ذراعه. صرَّخ اللورد الشَّاب ألما، وانبجس الدَّم من بين الحلقات باخراً في البرد وتبدو قطراته حمراء كالنَّار حيث سقطت على الثَّاج. لمست أصابع السير وإيمار جنبه، وارتدَّ قفَّاز فرو الخلد غارقاً بالأحمر.

بصوتٍ كتشقق الجليد على سطح بُحيرةٍ شتويَّة قال الآخر شيئاً ما بلُغةٍ يجهلها ويل، وكانت كلماته ساخرةً.

عثرَ السيرُ وإيمار رويس على الغضبة التي تلزمه، فهتفَ: «لأجل روبرت!»، وانقضَّ مزيجراً رافعاً السَّيف الطَّويل المكسوَّ بالصَّقيع بكلتا يديه، وهوى به بضربةٍ جانبيَّة وضعَّ وراءها ثقله كلَّه، فتفادها الآخر بحركةٍ أقرب إلى الكسل.

وعندما تلامسَ النَّصلان تحطَّم الفولاذ.

تردَّدت أصداء صرخةٍ في ليل الغابة، وتشطَّى السَّيف الطَّويل إلى مئة قطعةٍ هشَّة، وتناثرت الشَّظايا كمطرٍ من الإبر. خرَّ رويس على ركبتيه صارخاً وغطَّى عينيه، وانشقَّ الدَّم من بين أصابعه.

تقدّم المراقبون معًا كأنّما تلقّوا إشارةً، وارتفعت السُّيوف وهوت في صمتٍ مميت. كانت مجزرةً باردةً شقّت فيها النِّصال الشّاحبة حلقات الحديد كأنّها حرير. أغلق ويل عينيه، ومن بعيدٍ أسفله سمع أصواتهم وضحكاتهم الحادّة كداليات الجليد. حين وجد الشّجاعة لينظر ثانيةً كان وقتٌ طويل قد مرّ، والحيّد أسفله خاليًا.

ظلّ فوق الشّجرة مجترئًا بالكاد على التقاط أنفاسه فيما زحف القمر بتؤدّة في السّماء السّوداء، وأخيرًا وقد تشنّجت عضلاته وخذّر البرد أصابعه، نزل.

ارتمت جثّة رويس على وجهها في التّلج وقد شقّ المعطف السّموري السّميك في غير موضع. يُمكنك وهو مرتمٍ ميتًا هكذا أن ترى كم كان صغيرًا، مجرّد صبي.

عثر ويل على ما تبقي من السّيف على بُعد بضعة أقدام، طرفه الذي تشقّق والتوى كشجرةٍ ضربها البرق. جثا ويل ونظر حوله بحذرٍ والتقطه. السّيف المكسور دليله. جارد سيستنتج منه شيئًا، وإن لم يكن هو فالدّب العجوز مؤرمنت أو الميستر إمون لا شكّ. أما زال جارد منتظرًا مع الخيول؟ عليه أن يُسرع.

نحّض ويل، وألقى السّير وإيمار رويس واقفًا فوقه. ملابسه الثّمينة أسمال، ووجهه خراب، وفي بياض بؤبؤ عينه اليُسرى الأعمى تنغرز شطيّةٌ من سيفه. والعين الثّمينة مفتوحة، تتقدّ حدقتها بالأزرق، وترى.

سقط السّيف المكسور من أصابع ما عادت فيها أعصاب، وأغمض ويل عينيه ليُصلي. مسّت يدان طولبتان رشيقتان وجنته، ثم أطقتا على حلقة، يدان مقفّرتان بأفخر أنواع فرو الخلد ولزجتان من الدّم، إلّا أنّ لمستهما باردةً كالجليد.



كيان للنشر

أفضل دار نشر مصرية ٢٠٢١

أفضل ناشر عربي ٢٠٢٣

للتواصل معنا :

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زوروا موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01001872290 / 01000405450

وللاطلاع على كُتُبنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كُتَّابنا الثقافية، يمكنكم متابعتنا على حسابات التواصل الاجتماعي التالية:



KayanPublishing